

فقه الأسرة كمرجعية تأسيسية لبرامج الإرشاد الأسري

-دراسة في المفاهيم والخصائص والتوجيهات-

Family Jurisprudence as a Foundational Reference for
Family Counseling Programs

- A Study of Concepts, Characteristics, and Directives-

شهرزاد مبعوج عزوزة*

بدر الدين زواقة

جامعة الزيتونة-تونس-

ملحقة المدرسة العليا للأساتذة جامعة باتنة2

chahrazad.a10@gmail.combadreddine.zaouaga@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2026-04-08

تاريخ القبول: 2026-05-17

ملخص:

ظهر الإرشاد الأسري في المجتمعات العربية محتشما متأثرا بالإرشاد الأسري في البلاد الغربية، حيث انتشرت ثقافته، وأنشئت له مراكز للتدريب، وصارت له مجالات دورية دولية، وباعتبار أن مجتمعاتنا مسلمة تحتكم في أحوالها الشخصية إلى أحكام الشريعة الإسلامية التي كان لها السبق في تنظيم أحوال الأسرة، ووضع منظومة الحقوق المختلفة المتعلقة بالزوجين والآباء والأبناء والأقارب، جاءت هذه الدراسة لتبين أهمية اتخاذ فقه الأسرة بما فيه من أحكام ربانية دقيقة وتوجيهات نبوية ذات الطابع التربوي التعبدية مرجعا أساسيا في تصميم برامج الإرشاد الأسري في مستوى المعارف والمهارات، وتكشف عن أهم الجوانب التي يمكن لبرامج التأهيل والإرشاد الأسري الاستفادة منها واستثمارها واستخلاص قواعد ضابطة للحياة الزوجية.

الكلمات المفتاحية: إرشاد أسري؛ مجتمعات عربية؛ فقه أسرة؛ شريعة إسلامية؛ برامج تأهيل.

Abstract:

Family counseling emerged modestly in Arab societies, influenced by family counseling in Western countries, where its culture spread, training centers were established, and international periodicals were published on the subject. Considering that our Muslim societies refer to Islamic law in personal matters, which has long regulated family affairs and established a system of rights relating to spouses, parents, children, and relatives,

this study aims to highlight the importance of adopting family jurisprudence, with its precise rules and prophetic guidelines of an educational and devotional nature, as a basic reference in the design of family guidance programs at the level of knowledge and skills. It reveals the most important aspects that family rehabilitation and

*د. المؤلف المراسل.

guidance programs can benefit from, invest in, and extract rules governing married life.

Keywords: Family counseling; Arab societies; Family jurisprudence; Islamic law; Rehabilitation programs

مقدمة:

إعداد الأفراد لأسر منسجمة مطلب شرعي، فقد اهتمت الشريعة بالأسرة بآيات (146 آية) وأحاديث متعددة، كما أثبتت الأبحاث أن الإرشاد الأسري يحقق استقرارًا بنسبة 98.3% عند حسن التعامل به. والحياة الزوجية تقوم على المودة والرحمة، لكن ضبط الحقوق ضروري كقواعد مرور لاستقرار الأسرة.

بما أن مجتمعاتنا مسلمة، أمامنا توجهات ربانية فقهية للسعادة الزوجية، مقابل معارف غربية مرجعية في برامج الإرشاد الأسري الذي صارت الحاجة إليه ملحة. ومن هنا الإشكالية: كيف يمكن لفقه الأسرة توجيه برامج الإرشاد الأسري؟ وما جوانب الاستفادة منه؟

1. الإرشاد الأسري المبني على فقه الأسرة وخصائصه

1.1. مفهوم الإرشاد الأسري ونشأته:

سنضبط المفاهيم ونبين أن الإرشاد الأسري ليس وليد العصر، بل موجود منذ عهد النبوة، حيث كان النبي -عليه السلام- أول مرشد للأزواج.

1.1.1. مفهوم الإرشاد الأسري:

تنوعت تعاريف الإرشاد الأسري باختلاف التخصصات المرتبطة بالأسرة، ولعل أقربها لمقصود هذا البحث تعريف بعض الباحثين له بأنه: "عملية مساعدة أفراد الأسرة (والوالدين والأولاد والأقارب) فرادى أو جماعة في فهم الحياة الأسرية ومسؤولياتها لتحقيق الاستقرار والتوافق الأسري وحل المشكلات الأسرية"¹

أو هو "العملية التي يتم فيها مساعدة أعضاء الأسرة لتفهم الحياة الأسرية وتعلم مهارات حل مشكلاتها لتحقيق الاستقرار والتوافق والسعادة الأسرية"²

ويعرفه خضر بأنه عملية مساعدة أفراد الأسرة على فهم إمكانياتهم، وتنمية علاقاتهم، واستبصار الحلول السليمة لمشكلاتهم، لتحقيق الاستقرار والتوافق النفسي والسعادة للفرد والأسرة والمجتمع.¹

1 - ينظر: مقال موقع أكاديمية الشرق الأوسط للتدريب والتطوير <https://www.meatddwarat.com/Fo....> 2023/ يوم

2024/01/26

2 - المرجع نفسه

تكاد التعريفات تجمع على أن الهدف الأسمى للإرشاد الأسري هو تحقيق استقرار الأسرة لضمان أداء مسؤولياتها، ومن ثم استقرار المجتمع، وذلك عبر مساعدة الأعضاء على التعرف على قدراتهم، ومواجهة المشكلات المادية والمعنوية، وتكوين مفهوم إيجابي عن الذات ككيان واحد مترابط،² مما يفضي إلى تنمية علاقات إيجابية بينهم تحقق لهم التفاهم والسعادة.

ويرى البعض أن الإرشاد الأسري مرتبط بعلم النفس والتربية، فهو مجموعة استراتيجيات معرفية أو عاطفية أو سلوكية تؤثر على العافية والنمو الشخصي، ويهتم أيضًا بالحالات المرضية.³ ويدخل فيه إرشاد وإعداد الأزواج، والصحة الإنجابية، والتوافق الزوجي والجنسي، مرورًا بالمهارات الوالدية، وصولًا إلى تنمية مهارات الحياة وإدارة الذات والأسرة، بما في ذلك إدارة ميزانية الأسرة.⁴

2.1.1. مفهوم فقه الأسرة: هو علم يبين أحكام الأسرة في الإسلام بدءًا من الخطبة والزواج وصولًا إلى الطلاق. يندرج فقه الأسرة ضمن فقه المعاملات، ويتميز بمنهج تعبدية تربوي متكامل يخطط للحياة الزوجية. وتظهر أهميته من خلال محتواه.

3.1.1. مفهوم الإرشاد الأسري المبني على فقه الأسرة: هو إرشاد يجعل أحكام فقه الأسرة والتوجهات الربانية مرجعًا أساسيًا لتأهيل الأزواج، مع الاستفادة من الأبحاث العلمية الجادة. يدمج هذا الإرشاد بين فقه الحقوق والدراسات النفسية والاجتماعية، ويراعي الصحة النفسية، ويقبل ما يتوافق مع الشريعة ويرد ما يخالفها، لأن العلم البشري ظني والشريعة مؤيدة بالوحي.

4.1.1. نشأة الإرشاد الأسري: دلت أحاديث كثيرة على أن الإرشاد الأسري كان موضع اهتمام الرعيل الأول من سلفنا الصالح، رجالا ونساء، فكثيرا ما كانوا يسألون النبي ﷺ عن حقوق زوجاتهم وحقوق آبائهم وأبنائهم، ومثال ذلك:

1- خضر متولي عبد الباسط، الإرشاد الأسري في عصر الفلق والتفكيك: الخلفية والنظرية، الدراسات الميدانية، دار الكتاب الحديث، 2008، ص 16.

2- البريش عبد العزيز عبد الله، الإرشاد الأسري، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 17.

3- ينظر: مصطفى حجازي، واقع الإرشاد الأسري ومتطلباته، سلسلة الدراسات الاجتماعية تصدر عن المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد 27، ط 1، ذو القعدة 1423هـ/أكتوبر 2011، ص 39.

4- المرجع نفسه

عن أبي سعيد الخدري وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ بابتنة له فقال "يا رسول الله هذه ابنتي قد أبت أن تتزوج فقال لها النبي ﷺ: (أطيعي أباك) فقالت والذي بعثك بالحق لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ فقال النبي ﷺ: حق الزوج على زوجته أن لو كانت قرحة فلحستها ما أدت حقه) قالت والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبدا فقال النبي ﷺ: "لا تنكحوهن إلا بإذن أهلهن"¹

وفي الحديث تعظيم لحق الزوج ودليل على أن الفتاة بسؤالها كانت تريد تأهيلها للزواج وتعرف إن كانت مؤهلة له أم لا؟ وكان النبي ﷺ يغتنم الفرص لإرشاد النساء.

والنماذج كثيرة تدل في مجملها على اهتمام المجتمع المدني بالعلاقة الزوجية وما يصب في مصلحتها بهدف استقرارها وأداء وظائفها.

أما الحديث عن الأسرة ككيان مستقل والخلية الأولى في بناء المجتمع لم يتبلور إلا في القرون اللاحقة، فقد أشار الإمام الغزالي إلى المسائل الاقتصادية والجغرافية والاجتماعية المتعلقة بالأسرة، كما تحدث عن عملية التنشئة الاجتماعية للأولاد، فبين الأساليب النافعة في تربيتهن ومسؤولية الآباء في ذلك.

بدأ الإرشاد الأسري في البلاد العربية بشكل محتشم بعد ظهوره في الغرب، حيث كان يعتمد على الأئمة والخطباء فقط، وإن الجمع بين التعاليم الربانية والتوجيهات النبوية (عبر فقه الأسرة) من جهة، والأبحاث العلمية الرصينة (كعلم النفس الإكلينيكي والذكاء العاطفي) من جهة أخرى، هو السبيل لتصميم برامج إرشاد أسري عالية الجودة والفعالية.

2.1. خصائص الارشاد الأسري المبني على فقه الأسرة: إن الارشاد الأسري المبني على فقه الأسرة موجه ومدعم بجملة من الأحكام والقواعد تحيط بالأسرة وبالعلاقة الزوجية من كل الجوانب، ونضع الضمانات التي تكفل استمرار الأسرة واستقرار العلاقة الزوجية، من أهم خصائصه:

1.2.1. الربانية: لأنه يستند إلى أحكام وقواعد أساسها الوحي، مما يمنحها سلطاناً على القلوب فيندفع إليها الزوجان رغبة أو رهبة. من ينظر في تشريعات الأسرة في القرآن والسنة يدرك قيمة الأسرة عند الله، حيث تُربط شؤونها مباشرة بالله تعالى، فهو يربط بين تقواه وتقوى الرحم، قال عز وجل: ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ويجمع بين عبادته والإحسان للوالدين، قال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [الإسراء: 23]، ويظهر تعبد الزوجين لله في كل مراحل

1- صحيح ابن حبان، كتاب التفسير والأنواع، ذكر استحباب تحمل المكاره للمرأة عن زوجها رجاء الإبلاغ في قضاء الحاجة،

بناء الأسرة، ويربط بين الشكر له والشكر للوالدين، قال عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14].

أحكام فقه الأسرة ترفع العلاقة الزوجية إلى مستوى القداسة المتصلة بالله، وتجعل الحقوق والواجبات طاعات وقربى، ويحيط ذلك برقابته سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، وقال في سورة الطلاق: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ [الطلاق: 1]، إن الأحكام الواردة في القرآن تُشعر الزوجين أنهما يواجهان قاعدة كبرى من منهج الله، وأصلاً من أصول العقيدة الموصول بإرادة الله وحكمته، وبغضه ورضاه، وبالعقيدة وجوداً وعدماً، مما يجعلهما يدركان خطر هذه العلاقة وأن كل صغيرة وكبيرة فيها تنال عناية الله ورقابته.¹

1.2.1. التكامُل: من يتأمل القواعد التي تضبط العلاقة الزوجية والحقوق الزوجية يدرك أن هذه الحقوق ليست مصالح فردية خالصة، بل تحقق مصالح متبادلة للزوج والزوجة والأسرة كلها، وتؤدي إلى استقرارها. فمثلاً حق النفقة فيه مصلحة للزوجة، وفيه مصلحة للزوج من خلال شعوره بقيمته وقوامته، إضافة إلى الجانب التعبدى. وهكذا فإن هذه القواعد تحدد المصالح الحقيقية بمقاصدها، لا المصالح الوهمية التي تسبب المشاكل، وتمثل منهجاً واضحاً يُحتكم إليه عند تناقض المصالح.

1.3.1. الشمولية: مؤسسة الأسرة في التشريع الإسلامى تقوم على المودة والرحمة بعلاقات متشابكة لا يستوعبها إلا خير، لذلك تناول فقه الأسرة أدق التفاصيل في حسن المعاشرة والعلاقة الزوجية. ولأن نظام الأسرة رباني، فقد روعيت فيه خصائص الفطرة وحاجاتها، فتظهر عناية الله وتوجيهه في كل صغيرة وكبيرة، مما جعل التنظيمات دقيقة محكمة تتناول كل جزئية من شؤون الأسرة.

1- ينظر: فقه الحياة، مرجع سابق، ص 446.

1.4.1. المثالية والواقعية: التزام الزوجين بقواعد الميثاق الغليظ يضبط أقوالهما وأفعالهما وميولاتهما بضوابط التشريع، فيرتفعان إلى الأسى من الرقي، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]. فالهدف من الزواج هو السكن النفسي والطمأنينة والإحصان وإمداد المجتمع بالنسل الصالح.

3.1. توجيه فقه الأسرة لبرامج الإرشاد الأسري: إنَّ الجدير بالذكر هنا أنَّ معظم المدربين الذين يتصدرون عملية الإرشاد الأسري يمارسون تدريباتهم وفق برامج مصممة على مستوى مراكز غربية بما تحمله من توجهات وأجندات ونظريات خاصة بتلك المجتمعات، لا يمكن تطبيقها على مجتمعات مسلمة، كما أنَّ العقبات والضغوطات التي تتعرض لها الأسرة المسلمة على وجه العموم والعلاقة الزوجية على وجه الخصوص تختلف في مجملها عن تلك التي تتعرض لها الأسرة الغربية.

ولمَّا كان المدرب أساس العملية الإرشادية كان لتخصصه العلمي وخلفياته الفكرية والسلوكية أثر عظيم في البرامج المقدمة لتأهيل الأزواج، لذلك يتعين توجيه فقه الأسرة للبرامج المعتمد عليها في العملية الإرشادية من خلال تنبيه المدربين إلى نقاط مهمة يجدر التركيز عليها، أهمها:

1.3.1. أهمية إدراج المعارف الشرعية المتعلقة بالأسرة ضمن حقائب تكوين وتدريب المدرسين: ذلك أنَّ المدرب الذي يكون تخصصه بعيداً عن الشريعة (فقه الأسرة) تكون معلوماته الشرعية سطحية، أو ثقافة عامة لا ترتقي للتعامل إيجابياً مع الأسرة المسلمة والعلاقة الزوجية التي تضبطها أحكام وقواعد وضعها الشرع الحكيم، وقد تكون النتائج عكسية إذا اعتمد كلية على النظريات الغربية المتعلقة بالدراسات الميدانية للمجتمعات الغربية سواء كانت النفسية أو الاجتماعية.

1.3.2. أهمية تمحيص وغربة البحوث الغربية والثقافات الوافدة من الأفكار الدخيلة عن أسرتنا ومجتمعاتنا: أهمية تمحيص وغربة البحوث الغربية والثقافات الوافدة تنبع من خطورة بعض الأفكار الدخيلة على الأسرة والمجتمع، ومن أبرزها:

- الرؤية الغربية للمرأة القائمة على الحرية المطلقة دون ضابط أخلاقي أو قيد اجتماعي، مما أدى إلى تفكك اجتماعي وانحلال خلقي كالخيانة الزوجية، حيث تشير الدراسات إلى أن ثلث الأمريكيين المتزوجين لهم علاقات غير شرعية، و62% يرون ذلك مباحاً. كما تدّعي المساواة المطلقة بين الجنسين متجاوزة الفروقات الخلقية، وتقصي الدين، مما تسبب في انهيار الأسرة وجنوح الأطفال وتعاطي المخدرات.

- على مستوى الثقافة الزوجية، أصبح اشتراك الزوجين في رئاسة الأسرة مقبولاً، ومشاركة الزوج في الأعمال المنزلية. وعند رفضه تزداد الضغوط على الزوجة العاملة، فتضطر إلى موانع الحمل أو الإهمال المنزلي أو الاستعانة بخادمة أو وضع الأطفال في الحضانات، ليصبح المنزل مكاناً للنوم فقط.¹ هذا الشكل الأخير من الحياة الزوجية انتقل إلى مجتمعاتنا الإسلامية خاصة في المدن الكبيرة، وعلى مستوى الأسر التي تكون فيها المرأة على مستوى علمي يؤهلها للعمل خارج البيت.

- على مستوى الثقافة الزوجية أيضاً ووفقاً للتعاليم المسيحية (بالنسبة للزوجين المتدينين)، فإنّ خصائص الزواج الكنيسي عندهم مختلفة عن تعاليم وقواعد الزواج عندنا، إذ الزواج عندهم رابطة مقدسة وسر عظيم من الأسرار السبعة غير قابل للانفصام، فهو رباط أسري كما نص على ذلك الإنجيل: "ما زوجه الله لا يفرقه الإنسان، ومن طلق زوجته (إلا بسبب الزنا) وتزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني"² كما يقتضي الزواج عندهم وحدة الزواج³ فالكنيسة لا تعترف بتعدد الزوجات وتعتبر الزواج بالثانية حال قيام الزوجية الأول باطلاً يحق الطعن فيه.

1.3.3. أهمية تصحيح المفاهيم المشوهة عن بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالعلاقة الزوجية: سواء كان التشويه بفعل البحوث الغربية أو الممارسات العملية للأزواج داخل المجتمعات الإسلامية الناتج عن الفهم الخاطئ لتلك الأحكام، ومن أهمها:

مفهوم القوامة: قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: 34]. جعل الشرع القوامة حقاً للزوج لإدارة البيت

1- أثر الثقافة الوافدة على العلاقة الزوجية في المجتمع المسلم وسبيل مواجهتها، مرجع سابق، ص 170، نقلاً عن النظام العائلي ودور الأسرة، 163/1.

2- ينظر: عبد الحميد المنشاوي، أحكام الأسرة في الشرائع المسيحية واليهودية، مكتبة المعارف، الاسكندرية، ط3، 155/5.

3- المرجع نفسه، 159/1.

وأداء المسؤوليات، لكن الفهم الخاطئ جعل بعض الأزواج يستبدون بها ويتحكمون في الزوجة حتى في أموالها، مما أثر سلباً عليها ودعا إلى إلغاء القوامة واعتماد النظرة الغربية للمساواة المطلقة. وكان الأولى فهم مقتضيات القوامة وحدودها، لخصها الإمام ابن باديس بأنها رئاسة البيت، وفيها حق الرعاية بالسعي والتكسب، والتهذيب والتعليم للزوجة والأبناء، وحق الولاية بالنظر والتدبير، فهو سيد في بيته بالعمل النافع المنتج، لا بالاستبداد.¹، وقال الإمام محمد عبده مبينا أهمية القوامة: "وأما قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجال أشياء، ذلك أنّ هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، فالحياة الزوجية حياة اجتماعية، ولا بد لكل اجتماع من رئيس، لأنّ المجتمعين لا بدّ أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور، ولا تقوم مصالحهم إلّا بوجود رئيس يُرجع إلى رأيه في الخلاف... ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف".²

مراجعة المرأة لزوجها: بمعنى تراجعه في كلامه وتشير عليه، وتناقشه وكانت نساء النبي - عليه السلام- تراجعه وتناقشنه وتخالفن في بعض الرأي فيما تعلق بالحياة الزوجية.³

1- ينظر: عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس (مجالس التذكير من حديث البشير النذير)، تحقيق عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388هـ-1968م، 3/465.

2- ينظر: محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، باب 228، 2/301.

3- ينظر: عبد السميع الأتيس، الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية، دار ابن الجوزي، نسخة PDF، ص 284.

مفهوم الطاعة: الطاعة صفة ملازمة للمؤمنة الصالحة بحكم إيمانها وصلاحتها: يقول الإمام الرازي: "واعلم أنّ المرأة لا تكون صالحة إلّا إذا كانت مطيعة لزوجها، لأنّ الله تعالى قال: ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ والألف واللام في الجمع يفيد الاستغراق، فهذا يقتضي أنّ كلّ امرأة تكون صالحة، فهي لا بدّ أن تكون قانئة مطيعة..."¹ غير أنّ القنوت هو الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة لا عن قسر وإرغام وتفلت ومعاضلة، ومن ثم قال قانتات ولم يقل طائعات، لأنّ مدلول لفظ قانتات نفسي، وظلاله رخي نديه. وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة، وفي المحضن الذي يرمي الناشئة، ويطبعهم بجوه وأنفاسه وظلاله وإيقاعاته².

2. جوانب اثرء فقه الأسرة لبرامج الإرشاد الأسري

1.2. **جانب المفاهيم المعرفية:** البناء المعرفي لدى الأزواج من أهم أسباب التغيير الإيجابي في قناعاتهم، فالجهل بأحكام الحياة الزوجية يؤدي غالباً إلى سوء التعامل. أحكام فقه الأسرة ترافق الزوجين منذ التعارف إلى استقرار الحياة، وترسم رؤية واضحة للوصول إلى السعادة الزوجية فلا تتحقق المودة والرحمة إلا بالتزام الأحكام المفصلة. وبالنظر إلى برامج الإرشاد الأسري والتأهيل الزواجي، نجد أن بناء المعارف المتعلقة بالحياة الزوجية يكون على مستويات أهمها...

1.1.2 **الاستعداد للزواج:** تؤكد الدراسات أن الاختلاف البيئي والاجتماعي والثقافي، وكذلك الخلفية الأسرية، تؤثر سلباً في استقرار الحياة الزوجية. لذلك تقدم ورشات التأهيل الزواجي قواعد وأسس اختيار شريك الحياة ومقاييسه والمؤشرات الدالة على حسن الاختيار، وهذه القواعد فصلتها الشريعة الإسلامية في مفهوم الكفاءة في الزواج.

2.1.2 **معنى الكفاءة:** الكفاءة في اللغة: المماثلة والمقاربة، وهي في اصطلاح الفقهاء مماثلة الخاطب للمرأة المخطوبة في التدن والسلامة من العيوب والأمراض البدنية التي توجب الخيار³ ويدخل في معناه أيضاً المساواة، تقول فلان كفاء فلان أي مساو له ونظير ومماثل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الاحلاس:4]

1- التفسير الكبير للرازي، مرجع سابق، 71/10.

2- ينظر: فقه الحياة، مرجع سابق، ص 464.

3- ينظر: المدونة للغرياني، 507/2.

- وفي اصطلاح الفقهاء: التساوي بين الزوجين في أمور اجتماعية، بحيث تتحقق السعادة الزوجية بينهما ويندفع العار أو الحرج عن المرأة أو أوليائها.¹

3.1.2 حكم الكفاءة ودليل مراعاتها في الزواج: اتفق معظم الفقهاء على اشتراط الكفاءة في الزواج، وبغض النظر عن اختلاف الفقهاء في اشتراط الكفاءة أو عدم اشتراطها فإن الصفات التي تطلب فيها الكفاءة صفات مشروطة بدلالة نصوص أخرى ومن خلال كلام الفقهاء كما أنّ ما روي فيها من أحاديث يدل على اعتبارها في الجملة.

1- الغاية من اعتبار الكفاءة في الزواج: إنّ حرص الفقهاء على شرط الكفاءة ليس الغرض منها تقسيم الناس طبقات أو التفرقة بينهم أو تفضيل أفراد على أفراد² فالسبب الوجيه لاشتراط الكفاءة هو الحد من الشقاق بين الزوجين، والحيلولة دون افتراقهما ما أمكن لأن اختلاف الطبائع وتأثير بيئة النشأة وطريقة التربية لا بد وأن يظهر معها بعض الخلافات.

- ثم إنّ احساس الزوجين بالتماثل والتقارب والتناظر يشعرهما بمدى حاجة كل واحد منهما إلى الآخر على قدم المساواة، وهذا يقتضي أن يبذل كل واحد منهما الجهد لإرضاء الطرف الآخر، والشعور بقيمته وعزته ومساواته.³

- إنّ اتفاق الفقهاء على أن الركيزة الأساسية في الكفاءة هي الدين والاستقامة ومكارم الأخلاق دليل على فقههم لواقع الحياة الزوجية بما فيها من امكانيات روحية ومادية وفقه طبائع الناس السوية، فهي تخضع لسنن الله في النفس البشرية التي هي قواعد تحكم كل نفس إنسانية، ومخالفتها مخالفة لأسس السعادة الزوجية.

4.1.2 الصفات التي تطلب فيها الكفاءة: اشترط الفقهاء ست صفات ذكرها الشيخ ابن القصار، وهي نسب ودين وصنعة وحرية وفقد العيوب واليسار،⁴ على اختلاف بينهم في

1- ينظر: مصطفى السباعي، شرح قانون الأحوال الشخصية، مكتبة جامعة دمشق، بيروت، بغداد، ط7، 1381هـ، 1/170.

2- ينظر: أمينة محمد يوسف الجابر، الكفاءة في الزواج بين الفقه والتقاليد، كلية الشريعة والقانون في الدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ص5.

3- ينظر: الكفاءة في الزواج بين الفقه والتقاليد، مرجع سابق، ص5.

4- ينظر: عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني، تحقيق عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1422-2002، 3/360، و خليل بن اسحاق، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبوية للمخطوطات وخدمة التراث، ط1429-2008، 3/4، وشرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، 3/179.

اعتبارها، غير أنهم اتفقوا على الكفاءة في الدين،¹ وهو شرط على درجة من الأهمية، بحيث يؤثر مباشرة على الحياة الزوجية.

2.2. الحقوق والواجبات: إنّ الأسرة باعتبارها المؤسسة الأولى من ناحية الأهمية، لأنها مسؤولة عن انشاء وتنشئة أكرم الخلق عند الله تعالى، وهو الإنسان فإنّ المنهج الرباني اعتنى اعتناء شديد بضبط الأدوار داخل الأسرة مراعيًا في ذلك ما فُطر عليه الإنسان، كما راعى الاستعدادات الموهوبة لكلا الزوجين لأداء الوظائف المنوطة بهما وفق هذه الاستعدادات، وراعى العدالة في توزيع الأعباء على كل طرف منهما.²

لقد ضبظت الشريعة الإسلامية منظومة الحقوق الزوجية ضبطًا محكمًا، حيث قسمت الحقوق إلى حقوق مشتركة بين الزوجين وحقوق خاصة بالزوجة وأخرى خاصة بالزوج، غير أنّي أركز على الصفات المفقودة أو شبه المعدومة، والتي لها تأثير مباشر على الحياة الزوجية وهي طريقة المعاشرة والتواصل بين الزوجين، والذي هو حق مشترك بينهما.

إنّ المعاشرة بالمعروف من أهم الحقوق التي يجب على الزوجين فقهما على التمام والكمال، لأنّه لا يتصور أداء الحقوق الأخرى بعيدًا عن إطار المحبة والمودة والرحمة الذي تكفّله المعاشرة بالمعروف، كما لا يُتصور المحافظة على مشاعر المودة والرحمة دون توزيع عادل للمسؤوليات، وضرورة التعاون بين الزوجين لكمال أداء تلك المسؤوليات. ثم إنّ الشريعة الإسلامية لم ترغّب في المعاشرة بالمعروف وأداء المسؤوليات فقط، بل نهت إلى خطورة التملص من هذه المسؤوليات وتبعات ذلك، فقد نبّه ع إلى أنّ رعاية البيت مسؤولية الزوجين بقوله: "كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيته الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسؤولة عن رعيته"³

- ثم قال: "ما من عبد استرعاه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلاّ حرم الله عليه الجنة"⁴ ومعنى "غاش" هنا تضییع للحقوق الدينية والدينية⁵ وأكد المعنى -صلى الله

1- ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، 1425 - 2004م، 3/ 42 - 43.

2- ينظر: فقه الحياة، مرجع سابق، ص 461 - 462.

3- صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم (853)، 1/ 304.

4- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم (142)، 1/ 87.

5- ينظر: أبو زكريا محي الدين النوني، المهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1391.

عليه وسلم- بقوله: "إنَّ الله سائل كل راع عمَّا استرعاه أحفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"¹

2.2. جانب المهارات: إنَّ أجود برامج الإرشاد الأسري تلك التي تركز على مهارات العلاقات الشخصية والسلوكات اللازمة للحصول على علاقة زوجية ناجحة لذلك أكثر محتوى يقع موضع استحسان الأزواج هو المتعلق بجانب المهارات، كما يرتفع الطلب عليه بين المتدربين، وفي فقه الأسرة بما فيه من توجيهات ربانية ونبوية نجد مهارات كثيرة يمكن استثمارها لتحقيق التواصل الإيجابي بين الأزواج.

2.3. مهارات التواصل واحتواء المشكلات.

مهارات التواصل: إنَّ التواصل الزوجي هو لغة التفاهم بين الزوجين، والتي تنقل أفكار كل منهما ومشاعره ورغباته واتجاهاته إلى الزوج الآخر، وتحمل معاني صريحة وغير صريحة تحدد شكل التفاعل وتوجهه الوجهة الإيجابية إذا كانت أساليب التواصل جيدة، وهو ما يؤدي إلى التفاهم، وقد توجهه الوجهة السلبية إذا كانت أساليب التواصل مشوشة وقد يؤدي إلى سوء التفاهم، وقد يؤدي إلى الطلاق.²

- وعليه حرص الإسلام على أن تكون العلاقة الزوجية مبنية على المعاشرة بالمعروف إن حسن العشرة مفروضة ولو على كراهة إذ لا مبرر لسوء العشرة في الشريعة الإسلامية، وقد بيّن المفسرون ما يدخل في المعاشرة بالمعروف على النحو الذي ذكرناه سابقاً، وأدخلوا فيه جملة من الأقوال والأفعال التي تحدد شكل التفاعل بين الزوجين وتوجهه الوجهة الإيجابية، وقد جاء في التوجيه النبوي ما يشير إلى أنه ينبغي على الزوجين أن يستثمر كلَّ الفرص للتواصل والحوار مع بعضهما البعض منعا من الوصول إلى الخرس الزوجي الذي يؤدي بدوره إلى الطلاق العاطفي، لذلك ع ينوع في أساليب تواصله مع زوجاته، وبيان ذلك من خلال أحاديثه ع :

- كان يتفقد زوجاته من كثرة وتعدد مسؤولياته داخل الدولة، كما يدل على ذلك حديث أنس: "كان -عليه السلام- يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار"³

1- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ناصر الدين الألباني، كتاب السير، باب في الخلافة والإمارة، رقم (4476)، 6/ 465.

2- ينظر: كمال مرسي، العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1995، ص 210.

3- صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غسل واحد، رقم (265)، 1/ 105.

- مساعدة نسائه في أعمال البيت، ما كان محتاجا لذلك لكن أراد أن يعلم الأزواج أنّ ذلك شرف ولا ينقص من قيمته ولا هيبته، كما جاء في حديث عائشة حين سئلت: "ما كان يصنع في بيته، قالت: كان في مهنة أهله"¹

- اللطف مع نسائه والرحمة كما في حديث أنس "كانت صفية في سفر معه فأبطأت في المسير فاستقبلها وهي تبكي، وتقول حملتني على بعير بطيء، فجعل يمسح بيديه عينيها ويسكتها"²

- كان يخرج يتنزه معهن ليلا ويتحدث معهن حتى يستثمر كل فرصة للتواصل والحوار معهن، وفي ذلك تغيير للمكان ومؤانسة النفس طردا للوحشة والملل كما صح عند البخاري: "إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث"³

- فضلا على ذلك كان ع يصرح بحبه لعائشة أمام الناس لأنّ ذلك لا يستدعي الحياء بل ينعشن صدر الزوجة، ويُشعرها بالأمان كما في حديث "سئل النبي ﷺ من أحب الناس إليك قال عائشة"⁴

احتواء المشكلات الزوجية:

تعريف المشاكل الزوجية: ويُطلق عليها أيضا بالخلافات الزوجية وهي تضارب وجهات نظر الزوجين حيال بعض الأمور التي تخص أيا منهما، أو تخصهما، بحيث تستثير انفعال الغضب، أو السلوك الانتقامي أو التفكير فيه، وتظهر هذه الخلافات من خلال النقد أو السخرية أو المناقشات الكلامية الحادة وقطع التواصل الكلامي، أو التقليل منه وعدم القيام بالأدوار بصفة كلية أو جزئية، وقد يصل الأمر إلى هجر المنزل وفراش الزوجية، أو حتى الضرب والإيذاء البدني، وقد يؤدي إلى الطلاق،⁵ ثم إن المشاكل الزوجية وإن كانت جزء

1- صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم (644)، 239/1.

2- السنن الكبرى، النسائي، كتاب عشرة النساء، باب كم تهجر، رقم (9117)، 261/8.

3- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرا، رقم (4913)، 5/1999.

4- رواه مسلم والبخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا، رقم (3462).

5- 1339/3، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، رقم (2384/8)، 109/7.

5- ينظر: المشاكل الزوجية فؤادها وفن احتوائها، مرجع سابق، ص 26، نقلا عن بشير الرشيد، وإبراهيم الخليفي، سيكولوجية الأسرة الوالدية، ص 171.

من الابتلاء الذي هو سنة الله في الخلق لبيان حقيقة الإيمان، فهو محطة بتعلم فيها الزوجان كثيرا من المعارف والمهارات منها:¹

- زيادة التعارف بين الزوجين، ذلك أنّ الإنسان يُعرف من خلال المواقف التي تمر به، وقد يؤدي ذلك إلى تقوية العلاقة وتعميقها.

- يتعلمان كيفية مواجهة المشاكل في المستقبل، حيث يُصبح توقعهما للمشاكل أكثر، وتكون قدرتهما أفضل في صنع الحلول وإيجادها.

- يصبحان أكثر ثقة بقدرتهما على صنع القرار، والانتقال إلى العمل التطبيقي.

أساليب نبوية لاحتواء المشكلات الزوجية: ولما كانت المشكلات الزوجية متنوعة ومتباينة الأسباب، تنوعت أساليب الرسول ﷺ لعلاج واحتواء هذه المشكلات رغم ندرة المشكلات في بيته، الذي كان يشع حبا وتركز على الأساليب شبه المفقودة في المجتمع.

- التركيز على الإيجابيات والتغافل عن السلبيات: وهي قاعدة جد مفيدة في العلاقة الزوجية؛ لأنّها مفضية إلى الرضى في الحياة الزوجية، جاء ذلك في قوله ع: "لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر"²، والمعنى لا ينبغي له أن يبغضها بغيرها كليا يحملها على فراقها، بل يغفر سيئاتها لحسناتها ويتغاض عما يكره لما يحب،³ لأنّه إن وجد فيها خلقا يُكره، وجد فيها خلقا مرضيا بأن تكون شرسة الخلق، لكنّها دينّة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به وقناعتها ورضاها على عيشتها معه أو شفقتها عليه أو حسن خدمتها له، فلا تخلو المؤمنة من صفة حسنة يحمد بها الزوج⁴.

- استعمال أسلوب الحوار المبني على المنطق والاقناع: عن طريق هذا الأسلوب استطاع ع نقل صفة -رضي الله عنها- من زوجة ساخطة ناقمة إلى زوجة محبة، وذلك لما في هذا الأسلوب من أثر بالغ في تصحيح المفاهيم، وإعادة صياغة العقول، واستمالة النفوس. فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "قالت -يعني صفة- وكان رسول الله ﷺ من أبغض

1- ينظر: المشاكل الزوجية فوائدها وفن احتوائها، مرجع سابق، ص 52-53.

2- صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (1469/63)، 178/4.

3- ينظر: تفسير القرطبي، مرجع سابق، 94/5.

4- ينظر: شرح النووي على مسلم، 58/10.

الناس إلي، قتل زوجي وأبي، وقومي فما زال يعتذر إلى ويقول: يا صفية إنَّ أباك ألب عليّ العرب، وفعل وفعل، حتى ذهب ذلك من نفسي"¹

- أسلوب التحقق والتثبت قبل إصدار الأحكام: فكثير ما تتفاقم المشاكل والخلافات الزوجية بسبب الاستعجال في إصدار الأحكام، والوقوع بعد ذلك في الظلم ولعلَّ أفضل مثال على ذلك حادثة الإفك التي كان لها مساس بالأعراض والسمعة والتي وردت في عدد كبير من كتب السنن النبوية² وكذلك كتب السيرة، حيث تعامل الرسول ﷺ مع هذه الحادثة التي هزت المجتمع المدني، وآلمت نفسه إيلا ما شديدا بحكمة وعدل،³ فهي لا تتعدى كونها إشاعة ولو كُثر الخائضين فيها.

- فهو لم يتهمها محافظة على كرامتها، ولم يغضب منها، أقصى ما فعله ﷺ إنَّه غير من أسلوب معاملته معها ممَّا أشعرها بأنَّ شيئا ما قد حدث، حيث قلَّل من زياراته لها، ولم تعد ترى منه ذلك اللطف الذي كانت تراه منه خاصة وهي مريضة، وهذا اجراء طبيعي له فوائده.

- وحتى يكون الحكم منصفاً أخذ ع بتحري عن حقيقة الإشاعة أو ما بلغه عن زوجته، ويسأل في سرية تامة عن أخلاق عائشة وسلوكها، فكانت شهادات الجميع لها بالاستقامة والخلق والتقوى⁴.

إنَّ التحقق والتثبت والتروي أمام المشاكل الكبيرة التي تمس السمعة من أهم الأساليب التي تحفظ كرامة الزوج قبل الزوجة كما تحفظ أسرته من التشهير بها، وفراشه من التدنيس، وتسير به إلى اظهار الحقيقة والانصاف في الحكم، ويجدر بالزواج ألا يتهاون مع من يُصدر الإشاعات أو يمس بسمعة زوجته سواء كان من الأقارب أو الأصدقاء أو الجيران. وحادثة الافك فيها من الدروس الكثيرة التي تحتاج إلى تفصيل في غير هذا المقام ولا شك أن تحقق الزوج وتثبته وعدم الاستعجال في اصدار الأحكام عليهما من أهم اسباب تقوية العلاقة الزوجية لإحساسها بالأمان في العيش معه.

1- ينظر: السنن الكبرى، البيهقي، كتاب السير، باب من رأى قسمة الأراضي المغنومة ومن لم يرها، رقم (18387)، 231/9. قال

الحافظ ابن حجر، أخرجه البيهقي بإسناد رحالة، ينظر: فتح الباري.

2- الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية، مرجع سابق، ص 129-191.

3- ينظر: المشاكل الزوجية فوائدها وفن احتوائها، مرجع سابق، ص 242.

4- فتح الباري، مرجع سابق، ص 480.

2.3. الفروق بين الرجال والنساء في ضوء سنن الله في النفس البشرية: كثرت وتنوعت الكتب والبحوث المتعلقة بالفروقات بين الرجال والنساء بما فيها من غث وسمين، لذلك نحتاج دائما إلى تمحيص تلك المعلومات واختيار ما يتناسب ويتوافق مع التشريع الرباني والتوجيه النبوي، ولا خلاف أنّ هناك فروقا بيولوجية بين الرجل والمرأة (الزوج والزوجة)، ولذلك اختلفت الأدوار وتباينت المسؤوليات كلّ بما أهله الله عز وجل من استعدادات فطرية وجسمية، غير أنّ الحديث عن الفروق النفسية والتي لها علاقة بحسن التواصل بينهما والتعاون يحتاج إلى بحث وتفصيل، وفي التوجيه النبوي من الأحاديث التي توجه إلى طبائع خاصة بالنساء متعلقة بأصل الخلقة يجدر الانتباه إليها في العلاقة الزوجية ولبيان ذلك اخترت حديثين:

الحديث الأول: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عنه ع قال: "استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فاستوصوا بالنساء خيرا"¹.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها، كسرتها وكسرها طلاقها"².

قال البيضاوي: خلقن خلقا فيه اعوجاج فكأنهن خلقن من أصل معوج فلا يتهيأ الانتفاع بهن إلا بمدايرتهن والصبر على اعوجاجهن، وزاد في شرحه للحديث: وفيه: الحث على الفرق وإنه لا مطمع في استقامتهن، ولذلك جاء في رواية مسلم اشعار باستحالة تقويمها.³

يؤكد ذلك ابن حجر في شرحه لقوله ﷺ: "لم يزل أعوج فيه النذب إلى مداراه النساء وسياستهن والصبر على عوجهن وأنّ من رام تقويمهن رام مستحيلا وفاته الانتفاع بهن مع أنّه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه... فكأنّه قال -أي رسول الله ع- : الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها.⁴ قال الغزالي: "وللمرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف وأن يحسن خلقه معها، وليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى

1- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم (4890)، 5/ 1987.

2- صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (1468/61)، 4/ 178.

3- ينظر: أبو محمد محمود العيني، عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 20/ 166.

4- ينظر: أبو بكر أحمد بن محمد العسقلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، ط7، 1323، 8/

منها والحلم عن طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره إحداهن إلى الليل.¹

ففي هذا الحديث توجيه إلى ملاطفة النساء والاحسان إليهن والصبر على عوج أخلاقهن... وإنه لا يُطمع باستقامتهن والسبب في استحالة تغييرهن أنّ ذلك الاعوجاج (الدلال) في أصل خلقتهم وما جبلهن الله عليه فلا سبيل للانتفاع بهن إلاّ بمداراتهن والصبر على اعوجاجهن فيما لا إثم في معاشرتهم،² لأنك إن ذهبت تقيمها كسرتها، ولم تستقم لك، فتكون النتيجة طلاقها وفراقها، فهي أشبه بكوب فيه قليل من الماء، إن نظرت إلى الماء وإن قلّ رأيت خيرا، وإن نظرت إلى الفراغ فيه وعدم الفائدة رأيت شرا فانظر إلى ما عندها من خير، وتغاضى عما يقابلك من شر، ولا تترك البغض يسيطر على حياتك وحياتها... وضع بين عينيك أنّها معذورة ما دام هذا الاعوجاج والدلال في أصل خلقتها،³ ولا يمكنك تغيير خلق الله، فلا تظلمها بكسرك لها ومفارقتها.

إنّ عدم فهم الزوج لطبيعة المرأة يرى اعوجاجها تحديا له وخروجا عن طاعته، فيزيد اصراره على تغييرها وحملها على الاستقامة التي يراها وفي ذلك تصلب مفضي إلى الشقاق والنزاع ضمن سنة من سنن الله في النفس البشرية، وهي:

- التصدع موصول بالتصلب⁴: في كل علاقة إذا حدث شقاق وعدم وفاق فاعلم أنّ الطرفين أو أحدهما متعصبا لرأيه متشددا لا يقبل الرأي الآخر، ومن الطبيعي أن تحدث في العلاقة الزوجية خلافات بسبب تباين الآراء والأهواء والمصالح، وكلما كان هناك حوار إيجابي بين الزوجين كلما كان احتواء المشاكل أيسر لأن الحياة الزوجية يمكنها الاستمرار على نحو مقبول ما دام كل من الزوجين قادر على التعبير عن آرائه ومشاعره وأوجاعه وإن اختلفت الآراء، غير أن محاولة أحدهما تغيير الطرف الآخر واصراره على ذلك يُفضي إلى انسحاب شريكه من المحاورة للشعور بعدم الجدوى منها، وفقدان الأمل في اصلاح الأمور ممّا يؤدي إلى

1- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المرجع السابق، 78/8، ينظر: سبل الكلام للصنعاني، 204/2، ونيل الأوطار للشوكاني، 244/6، واكمال المعلم بفوائد مسلم، 680/4.

2- ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق، 2117/5.

3- ينظر: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم، شرح صحيح مسلم، دار الشروق، ط1، 1423-2002، 47/6.

4- ينظر: عبد الكريم بكار، كيف نفهم الأشياء من حولنا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1431-2012،

التصدع في العلاقة، ولذلك اهتم الفقه الإسلامي ببيان الحقوق والواجبات حتى لا يكلف أحدهما الآخر فوق طاقته.

إنّ تكليف الزوجة وحملها على ما يخالف فطرتها ظلم شديد لها وللأسرة؛ لأنّه يشكل ضغطاً عليها يمنعها من حسن أدائها لواجباتها وذلك ضمن سنة من سنن الله تعالى أنّ الضغط مصدر تشويه،¹ فكل شيء ينشأ تحت الضغط ينل حظه من التشويه، وتظهر الخطورة حين يستمر ضغط العاطفة طويلاً فيشوه الكثير من الأفكار أو العقائد، ويجعل نظرة الزوجة إلى واقعها وحياتها الزوجية عمشاء أو حولاء، ينتج عن ذلك القسوة والشعور بالظلم والاحتياج إلى الانتقام بدل السكن والمودة والرحمة التي قصدها الله عز وجل بتشريع الزواج.

الحديث الثاني:

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال قال ﷺ: "أُرِيت النار فإذا أكثر أهلها النساء يَكْفُرْنَ، قيل: أَيْكُفِرْنَ بالله؟ قال: يَكْفِرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفِرْنَ الاحْسَانَ، لو أَحْسَنْتَ إلى احداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط"²

بالرجوع إلى شرح الأحاديث يتبين ما يلي:

- المقصود: مع إيمانهم بالله يكفرن العشير الذي هو الزوج، فيكفرن حسن معاشرته.³ والمعنى هنا كافر النعمة وجاحدها، فهن يجحدن إحسان العشير⁴، دل على ذلك حديث أسماء ابنة زيد الانصارية -رضي الله عنها- قالت: "مَرَّ بي النبي -عليه السلام- وأنا في حوار أتراب لي فسلم علينا، وقال: "إياكن وكفر المنعمين" فقلت: يا رسول الله، وما كفر المنعمين؟ قال: لعل إحداكن تطول أتمتها من أبويها، ثم يرزقها الله زوجاً، ويرزقها منه ولداً، فتغضب الغضب فتكفر فنقول: ما رأيت منك خيراً قط"⁵

الحديث دلالة على أنّ كفران الحقوق وجحد الاحسان حرام معدود من كبائر الذنوب⁶ والظاهر أنّ الحديث فيه ترهيب للنساء من جحود وانكار نعمة الزوج وإحسانه، وبالمقابل

1- ينظر: المرجع نفسه، ص 140-142.

2- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير، وكفر بعد كفر، رقم 29، 19/1.

3- ينظر: الاستذكار، 2/ 420.

4- ينظر: ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، 23/ 295، وفتح الباري لابن حجر، 1/ 179، وعمدة القارئ،

شرح صحيح البخاري، 1/ 202.

5- أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (1047)، وقال الألباني: اسناده جيد، ينظر: السلسلة الصحيحة، رقم 823.

6- ينظر: المجالس الوعظية للسفيري، 2/ 30.

ترغب لهن في شكر احسان الزوج وربط ذلك بزيادة الإيمان، وفيه أيضا أهمية شكر الزوج، وما ينعكس على نفسيته من معاني الرضى بالحياة الزوجية والاحساس بالدعم وبقيمته وأهميته، وكل ذلك من أسباب السعادة.

إنَّ المقصودة الحديث من تُكثر اللعن وتنكر نعمة الزوج غالب أحوالها، لأنَّ هذا الأمر لا ينفك عن النساء ولو كن يكثرن شكر الزوج، لأنَّ المرأة مجمع العواطف والأحاسيس، والإساءة من الزوج وإن كانت أمرا حقيرا تهز مشاعرها، خاصة إذا كان الزوج محسنا إليها، فإذا تحركت عواطفها ومشاعرها فقدت السيطرة على نفسها، وفقدت الرقيب على كلامها ولسانها لأن العواطف والمشاعر صماء عمياء، وهذا يقودنا إلى سنة من سنن الله في النفس البشرية وهي:

- العواطف ميالة إلى التطرف: وعواطف المرأة غالبا ما تكون أقوى وأشد وضوحا من عواطف الرجل، فهي في وقت واحد قد تسمع زوجها عبارات المدح والثناء والاعجاب، وفي لحظة غضب أو جفاء يتبخر كل ذلك لتفاجئ زوجها بعبارات قاسية، وتصور الحياة معه جحيما، والمرأة في كل ذلك لا تتصنع ولا تجامل ولا تحقد، وإنما تسير عواطفها من غير رقابة عقلية كافية لما يمكن أن يصدر عنها بسبب تلك المسايرة من أقوال ومواقف مملوءة بالتناقض والتطرف،¹ وهذا ممّا ينبغي للأزواج معرفته وإدراكه ليعذر الزوجة، ولا يحقد عليها من خلال هذه اللحظات العابرة، وقد تشد العواطف وتثور وتقلب على نحو متطرف كلما كانت ثقافة ومعارف الزوجة محدودة، وعلى العموم فإنَّ الجهل أو نقص العلم يهيمش سلطة العقل على ضبط العواطف وتوجيهها.²

النتائج: توصلنا في مقالنا إلى بعض النتائج والمقترحات، من أهمها:

- 1- أظهرت الدراسة قدرة فقه الأسرة على تزويد برامج الإرشاد الأسري والتأهيل الزواجي بكثير من القواعد والأحكام ذات الطابع التعبدى التربوي ممّا يجعل الحقيبة المعرفية في برامج الإرشاد الأسري غنية ومتنوعة ودقيقة.

1- ينظر: عبد الكريم بكار، كيف نفهم الأشياء من حولنا، ط2، 2013-1424، 1/ 176 - 177.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص177.

- 2- دلت الدراسة على أنّ الإرشاد الأسري والتأهيل الزواجي ليس وليد احتياجات العصر، فقد ارتبطت نشأته بنشأة الأسرة المسلمة، حيث ظهر اهتمام الرعيّل الأول رجالا ونساء بشؤون أسرهم، فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- أول مرشد لهم.
 - 3- أظهرت الدراسة أنّ الإرشاد الأسري والتأهيل الزواجي المبني على فقه الأسرة، هو الاختيار الأمثل والأجود للمدرّبين، ذلك أنّه لا يعتمد على فقه الحقوق والأحكام مجردة، بل في ضوء مقاصدها، ووفق دراسات علمية متنوعة تشمل المعارف النفسية والاجتماعية، وتراعي مبادئ المعارف النفسية والاجتماعية. وتراعي مبادئ الصحة النفسية وما تعلق بسنن الله في النفس البشرية.
 - 4- دلت الدراسة على أهمية تمحيص وغربلة البحوث العلمية الغربية والثقافات الوافدة -والتي تُعدّ مرجعا أساسيا في تصميم برامج الإرشاد الأسري- من الأفكار الدخيلة عن أسرنا ومجتمعاتنا وفي آن واحد تأهيل المدرّبين في الجوانب الشرعية، وتصحيح المفاهيم المغلوطة والمشوهة المتعلقة ببعض أحكام الأسرة الفقهية.
 - 5- أظهرت الدراسة أنّ جوانب إثراء فقه الأسرة لبرامج الإرشاد الأسري والتأهيل الزواجي متنوعة تحيط بالأسرة في أدق خصوصياتها، وتحدد مسارها من النشأة إلى أن تصل بها إلى بر الأمان إلى مرحلة المودة والرحمة.
 - 6- أظهرت الدراسة من خلال التوجيه النبوي جوانبا مهمة متعلقة بالطبائع والفطرة الإنسانية ضمن سنن الله تعالى ينبغي استثمارها بما يحقق التوافق والتواصل الإيجابي بين الزوجين، ويُمكّنهما من مهارات احتواء المشكلات الزوجية.
- قائمة المصادر والمراجع:

1. الألباني محمد ناصر الدين، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1424 هـ - 2003 م
2. أمينة محمد يوسف الجابر، الكفاءة في الزواج بين الفقه والتقاليد، كلية الشريعة والقانون في الدراسات الإسلامية، جامعة قطر.
3. ابن باديس عبد الحميد، آثار ابن باديس (مجالس التذكير من حديث البشير النذير)، تحقيق عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388 هـ - 1968 م
4. البخاري، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 - 1987

5. البريش عبد العزيز عبد الله، الإرشاد الأسري، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2008
6. بكار عبد الكريم، كيف نفهم الأشياء من حولنا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1431-2012.
7. ابن حبان، لمسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص أي ديمير، الناشر، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433 هـ- 2013 م.
8. ابن حجر العسقلاني أبو بكر أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، ط7، 1323.
9. الخرشبي، مختصر خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت.
10. خضر متولي عبد الباسط، الإرشاد الأسري في عصر القلق والتفكيك: الخلفية والنظرية، الدراسات الميدانية، دار الكتاب الحديث، 2008.
11. خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجنديين، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبوية للمخطوطات وخدمة التراث، ط1429-2008.
12. ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، 1425 - 2004م.
13. رضا محمد رشيد بن علي، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
14. الزرقاني عبد الباقي، شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني، تحقيق عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1422-2002.
15. ابن عبد البر أبو عمر يوسف، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1378م.
16. عبد الحميد المنشاوي، أحكام الأسرة في الشرائع المسيحية واليهودية، مكتبة المعارف، الاسكندرية، ط3.

17. عبد السميع الأنيس، الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية، دار ابن الجوزي.
18. العيني أبو محمد محمود، عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
19. كمال مرسي، العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1995.
20. مسلم، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1412هـ- 1991م.
21. مصطفى السباعي، شرح قانون الأحوال الشخصية، مكتبة جامعة دمشق، بيروت، بغداد، ط7، 1381هـ.
22. مصطفى حجازي، واقع الإرشاد الأسري ومتطلباته، سلسلة الدراسات الاجتماعية تصدر عن المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد 27، ط1، ذو القعدة 1423هـ/أكتوبر 2011.
23. موسى شاهين لاشين، فتح المنعم، شرح صحيح مسلم، دار الشروق، ط1، 1423-2002.
24. النسائي السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001 م
25. النووي أبو زكريا محي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1391.